النتاج الجديد

دراسات
عن مقدمة ابن خلدون
تأليف
الاستاذ ساطع الحصري
دار المعارف مصر — ٦٧٠ ص

•

اصدر العالم الاجتماعي الأستاذ ساطع الحصري طبعة موسعة من دراساته القيمة عن ابن خلدون ، وهذه الدراسات أوفى ما كتب عن ابن خلدون، ولعلها اوفى ما كتب عن مفكر عربي الى الآن . وهي تمتاز بشمول في البحث وبدقة في التحديد والتعبير وبعمق في الاستنتاج وبكثرة المقارنات بين آراء ابن خلدون وآراء العلماء الاوروبيين الذين كتبوا في الموضوعات التي طرقها ابن خلدون قبل ابن خلدون وبعده .

يبدأ الاستاذ الحصري دراساته بالمدخل الاول الذي سماه « على هامش المقدمة » وهو جولة بين التواريخ والمؤرخين يرينا فيه كيف ان جميع المؤرخين منذ ايام هيرودتس اليوناني الملقب بأبي التاريخ الى جان بودن الفرنسي (ت ١٥٩٦ م) كانوا يعتقدون بالسحر والشياطين وبالكهانة والنجامة وتأثيرها كلها في حوادث التاريخ وسلوك البشر بينما عرى ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦م) عن هذه المزلات .

اما المدخل الثاني فيتناول بيئة ابن خلدون وحياته وآثاره بالتفصيل في اربع وسبعين صفحة يسبقها في اول الكتاب صورتان متخيلتان لابن خلدون واربعة مشاهد من بيئته (بيئته والمدرسة التي تعلم فيها في تونس) .

ثم نأتي الى مائة وخمسين صفحة سماها المؤلف « نظرات وملاحظات عامة — مكانة ابن خلدون » وهي في الحقيقة اهم اقسام الكتاب . في هذا القسم يوازن الاستاذ ساطع الحصري بين اتجاه ابن خلدون في التاريخ والاجتماع وبين اتجاه سائر المؤلفين في هذين الفرعين وخصوصاً فيكو الايطالي المتوفى عام ١٧٤٤ ومونتسكيو الفرنسي المتوفى عام ١٧٥٥ ويدل بوضوح على ان ابن خلدون احق من الاول بلقب مؤسس علم التاريخ ومن الثاني بلقب موجد علم الاجتماع .

ويلي ذلك كله نحو ثلاثمائة صفحة يستعرض فيها الاستاذ الحصري الموضوعات التي طرقها ابن خلدون في « المقدمة » ويشير الى ما فيها من آراء طريفة او صائبة او قيمة ، وخصوصاً في بناء الدولة وفي علم النفس والتربية .

والقسم الاخير من الكتاب سماه المؤلف «تكملة: جولة بين الكتب والمجلات » ، وهو يأسف لأن علماء الافرنج والترك قد عرفوا فضل ابن خلدون في مقدمته بينما العرب هم آخر الشعوب الذين تنبهوا لمقام فيلسوفهم الاجتماعي الكبير . والاستاذ الحصري يخص الدكتور طه حسين باربعين صفحة كاملة، فيجمل مزاعمه عن ابن خلدون ثم يفندها .

فمن مزاعم طه حسين : ان ابن خلدون بربري الاصل ولذلك هو يتحامل على العرب في مقدمته، مع ان الثابت من كل وجه ان ابن خلدون عربي، وان ابن خلدون لا يتحامل على العرب بل يرى عداء البدو من العرب والبربر على السواء للحياة المدنية وللعمران . وكذلك انكر طه حسين ان ما في مقدمة ابن خلدون خليق بان يسمى «تاريخاً» او «اجتماعاً» او «علماً» على الاقل. وكذلك زعم طه حسين ان ابن خلدون لم يعرف الفرق بين الفقه وبين اصول الفقه وانه لم يعرف كتاب الاغاني ايضاً . ولقد فند الاستاذ الحصري هذه المزاعم بكثير من الدقة والأناة والتأدب في العلم ورد وقوع الدكتور طه حسين في هذه المزلات الى انه كتب اطروحته التي امتلأت بكل هذه الاخطاء العلمية ثم نشرها عام ١٩١٨ قبل ان يلم بمبادىء علم الاجتماع. ثم إن طه حسين لم يقرأ «مقدمة ابن خلدون» قراءة مفصلة لما وضع اطروحته، بل اكتفى باستقاء بعض الآراء من بعض المستشرقين الذين اساءوا فهم لغة ابن خلدون فأخطأ مثل أخطائهم (ص ٥٨٩) .

★

على ان مما يؤسف له اشد الأسف ان كتاب « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » ، على جلالة قدره ، مملوء بالاخطاء المطبعية، ولقد كان خليقاً بدار المعارف في مصر ان يكون إشرافها على طبع هذا الكتاب احسن واقوم. ولكن لا سبيل الى تصويب هذه الاخطاء هنا لأنها كثيرة جداً .

ولكن ثمت اخطاء يسأل عنها الاستاذ ساطع الحصري نفسه، ولقد كان بامكان دار المعارف ايضاً ان تخفض عدد هذه الاخطاء ايضاً فتصلح ما يتعلق منها بجمع المذكر السالم رفعاً او نصباً وخفضاً . اما الاخطاء التي لا مفر من إلقاء تبعتها على المؤلف وحده فيمكن اجمال انواعها او تفصيلها في ما يلي :

ضبط الاعلام على اشكال مختلفة فهو يكتب آتينا وآثينا

والاتينيين (بالثاء حيناً وبالتاء احياناً) . او يكتب: افريقية، افريقا ، افريقيا ، وبارس وباريس الخ .

وقال : ولم تشتعل المذنبات في السماء (ص ٢٣) وهو يقصد الشهب .

وقال : العطارد (ص ٣٠ مرتين) مكان عطارد .

وقال : وكتاب الموطأ لا بن مالك (ص ٧١) والصواب: مالك (بن أنس).

وقال : وهؤلاء تلقوه بالتخفي والكرامة (ص ٨٦) مكان بالتحفي (بالحاء المهملة) .

وقال : من سلالة ابي الفحص والفاروق (ص ١٣٢) مكان: من سلالة ابي حفص الفاروق .

— : ندورها (ص ٣٣١ بالراء) وصوابها ندودها بالدال (؟)

— : وشبكهم (ص ٣٦٩ بالباء الموحدة من تحتها) والصواب : شكتهم بالتاء المثناة من فوقها .

— : يحرمون (ص ٣٨٧ بالراء) مكان يحومون بالواو (؟).

— : ضربت (ص ٤٠٦ بالباء الموحدة من تحتها) والصواب: ضريت بالياء المثناة .

— : روح بن زنباغ (بالغين ص ٤١٢) مكان زنباع (بالعين المهملة) .

— : ينفسون (ص ٥٠٦) والصواب يقيسون ، وهذه من الاخطاء الواقعة في المقدمة والتي نقلها المؤلف من غير ان يتنبه الى انها خطأ .

— : منتضبا (ص ٥١٨ بالباء الموحدة من تحتها) مكان منتضيا (بالياء) .

★

ولكن هذه الاخطاء على كثرتها لا تنزع عن الكتاب صبغته العلمية ولا تحط من قيمته شيئاً ، مع ان الاولى ان تخلو امثال هذه الكتب القيمة من امثال هذه الاخطاء . ان العالم الاجتماعي الاستاذ ساطع الحصري قد وضع في المكتبة العربية كتاباً من انفس الكتب في دراسة تطور الفكر العربي .

عمر فروخ

التبشير والاستعمار في البلاد العربية

تأليف الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ

منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ٢٣٢ ص

•

لعلّ هذا الكتاب اول بحث أُخرج للناس في اللغة العربية عن حركة التبشير الناشطة منذ زمن غير قريب في البلاد العربية وصلتها بالاستعمار والمستعمرين . وهو كتاب سلخ المؤلفان الفاضلان في وضعه — على ما نعرف — جزءاً من عمرهما ليس بالقصير ، وتوفرا على استمداد حقائقه من ينابيعها الرئيسية ، اعني كتب المبشرين انفسهم ، سواء أكانوا من الذين طوّفوا في البلاد العربية أو عاشوا فيها لهذا الغرض ، أو من الذين عُنوا بالتأريخ لهذه الحركة . وهي كثيرة اثبت المؤلفان في صدر كتابهما نحواً من مئة كتاب منها ، معظمها موضوع باللغة الانكليزية .

ويقع كتاب « التبشير والاستعمار » في عشرة فصول درس المؤلفان في اولها بواعث التبشير الحقيقية مُثبتَين ان الدين لا يعدو ان يكون وسيلة يصطنعها المبشرون الى غاية ابعد ، هي السياسة ، وقوامها هنا استعباد الغرب للشرق . وذهبا في ثانيها الى ان المبشرين يتخذون من التطبيب حيلة للتبشير ، فهم يستغلون آلام البشر ويخدعون المرضى . اما الفصلان الثالث والرابع فقد كسرهما المؤلفان على دراسة موضوع التعليم والتبشير ، وحاولا ان يقيما الدليل على ان التعليم ليس له عند المبشرين غاية غير التبشير ، فهم يختارون اساتذتهم على هذا الضوء ، وهم يضعون الكتب في الطعن على العرب والمسلمين ويدرّسونها في معاهدهم ، ابتغاء تشكيك الطلاب في دينهم

صدر حديثاً :

الجزء الثاني من سلسلة

« كنوز القصص الانساني العالمي »

التي ينقلها الى العربية الاستاذ **منير البعلبكي**

أسرة آرتامونوف

اروع ما كتبه القاص الروسي الكبير

مكسيم غوركي

طبعة فاخرة مصورة — **دار العلم للملايين**

وتاريخهم وقوميتهم . حتى اذا أشبعا هذا الموضوع درساً انتقلا الى الكلام على الجامعة الاميركية ، والجامعة اليسوعية في بيروت . ويلاحظ انهما اسهبا في الحديث عن الاولى واوجزا في الحديث عن الثانية ، ولعل مردّ ذلك الى ان صلة المؤلفين بالجامعة الاميركية اوثق .

وفي الفصول الاربعة التالية تحدّث المؤلفان عن السياسة بوصفها طريقاً للتبشير ، مظهرَيْن ان كثيراً من الفتن والاضطرابات التي عاناها الشرق العربي كانت من عمل المبشرين وتدبيرهم ، ومثبتين تعاون السياسة والتبشير في خدمة الاستعمار وتعاون المبشرين والصهاينة ابتغاء تهويد فلسطين والقضاء على عروبتها .

بقي الفصلان الاخيران ، وقد عرضا للاعمال الاجتماعية كطريق للتبشير ايضاً ، ولمحاولة تشويه الثقافة العربية كوسيلة الى الحطّ من شأن العرب والمسلمين في نفوسهم .

تلك هي موضوعات الكتاب ، وكلها خطير لما يتصل بصميم حياة هذا الشرق السياسية والاجتماعية جميعاً . وقد احسن المؤلفان في تقديمها الى الناس ليكونوا على بيّنة من امر الاستعمار الغربي الذي لا يفتأ يشنّ على بلادنا الحربَ بعد الحربِ بأسلحة حدادٍ شداد ليس التبشير أيسرها خطباً ، وأقلّها ضحايا .

وقد تعرض الدكتوران الخالدي وفروخ لحملة عنيفة في بعض الاوساط ، بسببٍ من تأليفهما هذا الكتاب ، ورُميا بالتعصب واثارة العنعنات المذهبية . ولست ههنا في معرض الدفاع عن المؤلفين ولكني احب ان أنصّ ، من حيث المبدأ ، على ان الكلام على التبشير لا يفترض في المتكلم التعصب ضرورة فالتبشير ظاهرة قائمة في بلادنا العربية وغير بلادنا العربية ، فليس الى نكرانه او تجاهله من سبيل . وإذا كانت البلاد العربية قد أفادت من التبشير مدارس ومطابع ونشاطاً علمياً ملحوظاً فالذي لا ريب فيه ايضاً ان التبشير عمل بمختلف اساليبه الظاهرة والخفية على تشويه لغة هذه البلاد والتفريق بين شتى عناصرها وإثارة الضغائن ما بين شيعها وطوائفها . فاذا صح ذلك — وهو صحيح — فكيف يجوز للباحث ان يسقط من حسابه هذه الظاهرة الخطيرة من ظواهر حياتنا الحاضرة ، ويتعامى عن وجودها ؟ ان قولنا لمن يكشف عن حقيقة المبشرين : انت متعصب مثير للفتنة وسكوتنا عن المبشرين انفسهم العائثين في البلاد فساداً ليذكر المرء بكلمة سعد زغلول المأثورة : « عجباً لكم ، تقولون للمضروب لا تبكِ ، ولا تقولون للضارب لا تضرب ؟! »

وشيء ثانٍ يجعل من معالجة هذا الموضوع ضرورة وطنية بكل ما في الكلمة من معنى ، هو اننا اليوم بسبيل ثورة عامة على الاستعمار في شتى اشكاله ومظاهره . ومن تمام هذه الثورة ان نلم بحقيقة الحركات التبشيرية التي جاءنا هذا الاستعمار اول ما جاءنا في ركابها ، والتي لا يزال المستعمرون يعملون الى اليوم مقنّعين بقناعها بعد ان ازيح كابوس الاستعمار ، من حيث هو جيوش تحتل ومندوبون يفرضون ارادتهم على الناس ، عن كثير من البلدان العربية والشرقية .

ثم ان فكرة التبشير ، بما هي ، فكرة رجعية يتعين على العاقلين في بلدان الشرق والغرب على السواء محاربتها . فقد انقضى الزمان الذي كان يُنظر فيه الى خلاص المرء على ضوء غيبي خالص . اذ ما الذي يفيده الانسان من القفز من دين الى دين ، او من مذهب الى مذهب ، اذا كانت حياته وحياة اسرته مهددة ابداً بضروب المخاطر ، او اذا كانت معدته فارغة ، وعقله جائعاً ، وحريته مقيدة ؟ ان تحرير المعدة والعقل والجسد من آفات الجوع والجهل والمرض هو الذي يؤدي آخر الامر الى تحرير الروح تحريراً صحيحاً . ومن هنا كانت الحملة على التبشير ، في نظرنا ، خطوة تقدمية لا رجعية ، خطوة جديرة بالتقدير والثناء ، شرط ان تصدر عن روح وطنية خالصة لا تشوبها عصبية دينية ما .

وإذا كان لنا ما نأخذه على هذا الكتاب القيم فهو ان نبرته تشف في بعض الفصول عن مثل هذه العصبية الدينية . وكم كنا

الكتب الأدبية والمدرسية على اختلاف انواعها
احدث المطبوعات ومجلات الأزياء لعام ١٩٥٣
مبيع وإصلاح عموم أصناف أقلام الحبر
القرطاسية بانواعها وأدوات المكاتب
كل ذلك تجدونه دائماً في
بيروت شارع سوريا **مكتبة هاشم** ☎ ٨٣/٢٦

نتمنى لو صدر المؤلفان الفاضلان — في بحثهما هذا — عن النزعة الوطنية الخالصة دون غيرها ، النزعة التي ترى في التبشير الديني ، ايّ تبشير ديني ، خطراً اجتماعياً واستعمارياً يتحتم على كل فرد من افراد الامة ، بصرف النظر عن معتقده ، ان يحاربه . ولو فد فعلا اذن لأوفى كتابهما على الغاية ، ولامتنع على التجريح .

منير البعلبكي

ثلاثة كتب

خالد بن يزيد — مستقبل المرأة العربية — عواطف وعواصف

●

اما الكتاب الاول فهو للاستاذ سعيد الديوه‌جي وهو يقع في ٤٤ صفحة وقد اخرجته المطبعة الهاشمية بدمشق. وقدتحدث فية مؤلفه حديثاً فيه قصْد عن خالد بن يزيد بن معاوية ولكنه قصد فيه نفع وفيه غنية . وقد تتبّع في دقـــة نبوءة ظهور السفياني التي بدأ بدأها خالدبن يزيد ليستطيع ان يسترد الخلافة لاهل بيته ، ثم صارت من بعده فكرة ذات خطر داهم وشرّ مستطير .

وقد عرض المؤلف للأحاديث التي وضعت ليناصر بها كل حزب نفسه ورأيه ، وقد أحسن حين تعرض لها ورجـــع في تزييفها الى ثبت المراجع والى سقوط قيمتها بعد ان لم تحققهـا تيارات التاريخ . ثم اسهب المؤلف في بيان ما كان من عـلم خالد وادبه واخلاقه وذكائه ، وما كان من شدة عارضته وقوة حجته وحفظه ، ودلّنا على انه كان اول من عمل على ترجمـــة الطب والفلك والنجوم ومسائل من الكيمياء للغة العربية مستعيناً من تفصّحوا بالعربية في مصر من اليونان .

وان في هذا الكتاب مع قـــلة حجمه منافع ذات شأن ، وفي مقدرته ان يغير كثيراً من آرائنا في بعض ما سمعنا ، وفي نشأة العلوم الدخيلة عند العرب ، وفي بعض فنون من الادب كصياغة العلم في شعر ، وكنا نميل مع القائلين الى انهـا كانت صنعة العباسيين فاذا هي — كما حقق الاستاذ — غراس خالد وصناعة اميّة .

ومع ان الكتاب حسن الطبع جيد الترتيب سليم اللغـة فانه لم يخل مما يطرفنا به من الشعر العذب الذي انشده خالد أو أنشد فيه. ونحن لانعرف المؤلف كتباً من قبل فإن تكن هذه باكورة اعماله فنعمّا هي!

●

واما كتاب مستقبل المرأة العربية فهو للاستاذ منير الشريف وقد اخرجته المطبعة العمومية بدمشق في ١٨٤ صفحـة . وقد شمل هذا الكتاب خمسة عشر فصلاً تدرس نواحي مختلفة للمرأة العربية، تناولت المسائل الجوهرية والمظاهر وحاسبت تاريخ المرأة على ما فرط فيه ثم اعدتها المستقبل الكريم الذي ظنه المؤلف وقدّر له ورسم له الطريق .

وقد حفل الكتاب بأقوال وآراء لرجالات العرب والفرنجة في مختلف العصور ، وكان من اهم ما جاء به — في نظـــرنا — تعداده لنساء العرب الناهضات في عصرنا وفي مختلف بـلادنا ، وحبذا لو كان قد حفل بهؤلاء النساء اكثر مما حفل فبسط لهنّ بعض آثارهن في نهضتنا ، لان الدراسة بالقدوة خير من الدراسة بالمواعظ والأقوال ولو كانت آراء حكماء وأقوال بلغاء .

وحبذا لو كان الكتاب قد تخفف من النصائـح التي بدت محتشدة تتزاحم فيه ، وعطف على القوي المفيد في تحليل وعمق، الا ان الحق الذي يقال ان المؤلف بذل جهداً كبيراً وأنفـق وقتاً طويلاً في هذا الجمع والترتيب الذي اخرجته المطبعة العمومية في حلة قشيبة وحروف جيدة وسلامة من الاخطاء .

●

واما الكتاب الثالث فهو « عواطف وعواصف » وهـــو ديوان شعر للاستاذ علي الشرقي ، وقد اخرجته في ٢٤٠ صفحة مطبعة المعارف ببغداد . وانه لمن الصعب ان نتكلم في كلمة موجزة عن ديوان كامل لحياة شاعر وحياة عصر متحول متنقل إلا إذا ظلمنا انفسنا وظلمنا الشاعر ، ولكن نكتفي ان ندّل بالقليل الذي قرأناه منه على الكثير الذي لم نقرأ .

ولعل اروع ما في هذا الديوان انه كلام شاعر اصابه كبت

كامل بكداش واولاده

قرطاسية وادوات المدارس

والمكاتب وجميع اصناف الورق

بيروت — شارع المعرض

تلفون : ٥٤/٨٨

النشأة فحاول ان يفلت حين وعى لنفسه في حيلة مرة وفي اندفاع مرات ثائراً مزمجراً ، ولكنه لم يستطع ان يفلت ، لأن النشاة قيدته بقوالب من التعبير لا مناص له من ان يصبّ فيها .

وهو وان كان قد قسم ديوانه الى شرقيـــات وموشحات وقصائد فان المعاني التي تهتاج فيها وتضطرب تتجه نحواً واحداً وإن اختلفت اوزانها وقوافيها ومقطعاتها ، وانهـــا لتثور في موجات قوية من الشعر والاحاسيس الدقيقة وتؤرخ في صدق لأحداث زماننا وبلادنا ، وليس من شك — حينما يعرف ان الشاعر نجفيّ — في ان هذا الشعر يكون جيد النسج خاضعاً لبعض التعبيرات العلمية والمعاني الفلسفية التي تستمد من البيئة التي نشأ فيها .

اما ما عدا ذلك فهذا الرجل مرهف القلب مبصر العين دقيق الحساب ، فهو يزيد عن شاعر بأنه يدرك بعقله كما يدرك بمشاعره ثم يصير كل ما يدركه شعراً نابضاً بالحياة كأن لم يتكلف في صياغته شيئاً ، بل انه يشتق مما يرى ويسمع معاني يستخدمها احسن استخدام .

ويكفي ان يُعرف من قصيدته التي صدّر بها ديوانه والتي جعل عنوانها « مع البلبل السجين » لأن هذه القصيدة قد انتهبت كثيراً من المعاني التي قدر عليها ، ولأنها قيلت في شبابه ولعلها ايضاً كانت في محنة له لم يشأ ان يذيع عنها الا ما تذيعه هـذه المجازات وهذه الرموز .

وانه ليشيع الحزن في كثير من انحائها فيعلو نفسه وترقى صناعته ، ولقد يتاح له ان يكرر اللفظ مرات فيتكرر معه في حسن وطيب وذلك كقوله :

أنا اشكو وأنت تشكو وكل الـ
ـناس تشكو ، والبعض شكوى الجميع

ومن احسن ما استخدم المعاني المعروفة قوله :

طيب هذي الدنيا قليل لأن الـ ـورد يجتازهـا بعمر قصير

ومن اجود ما وصف عاصفة الشتاء قوله:

صرصر ترقص الذئاب على الثلـ ـج ولكن على دفوف السماء
وُمدى تذبح العجاف من النا س تكوّنَ من هواء وماء

وقد استطاع الاستاذ الشاعر ان يجول في غير الشعر ، فاستطاع في مقدمته القصيرة ان يعلل للرمزية تعليلاً صادقاً نابعاً من ذات نفسه بقوله في المقدمة إنهـا التأدية المستطاعة في عصر لم يمارس حرية الكلام ولم يتعود الصراحة وبأنها الصورة الكاملة للحس الباطني .

وبعد فان هذا الشاعر يستحق تقدير العرب لأنه وهو عراقي لم ينس بلداً لم يُغن في افراحه او يبك في احزانه ، وحبذا لو لم يكن مكبوتاً واذن لطار في كل مطـار .

عبد العزيز سيد الأهل

الليـــــل

قصص للاستاذ ابراهيم الورداني

منشورات « دار الفن » — القاهرة — ١٦١ ص

●

ابراهيم الورداني ، هذا القاص الذي قدم لنا بالامس « نحن بشر » وخطا بالقصة القصيرة خطوات واسعة الى الامام ، نعود اليه في مجموعته الاخيرة «الليل» فنجده ما زال في موضعه السابق لم يتقدم .. بل انه ليبدو — في اماكن كثيرة — كمن فقد معالم الطريق ، وتاه عن السبيل السوي الذي اختطه لنفسه من قبل . وانا اختار من المجموعة التي تضم ١٣ قصـة ثلاث قصص فقط ، اقدمها للقراء ، وقد حرصت على ان تكون كل واحدة بعيدة عن الاخرى الى اقصى حد يمكن ان يبتعـد قصص الورداني عن بعضه .

الاولى « انا الشعب » عن لسان البطل ، وهو فتى يقف في المحكمة فيروي كيف انه كان يحيا حياة شقية محرومة . وكيف ان الحظ ساعده فوصل الى احد رجال الاعمال ، وكيف انـه تمكن من ان يحبسه مع عشيقته ، وخرج لينفق من امواله مليوناً من الجنيهات .. لـكي يشعره بالسعادة التي زعم انه لا يعرفها . وما ان يعود فيخرج به حتى تتعالى الهتافات من الجماهـير التي

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير — بيروت

اكبر مجموعة من الكتب

العربية والفرنسية من أدبية وسياسية واجتماعية

تلفون : ٧٧ — ١٦

جاءت تحيي رجل الاعمال الذي ظنته هو المتبرع لليتامى والمحتاجين . ثم ينهي الفتى قصته بذكر مسلك الرجل الشاذ إذ يقف فيتقاضيه اليوم امام المحكمة على انه اراد قتله . الى هنا ويتفضل الورداني باسدال الستار بقوله : « وقد التفت عضو اليمين الى عضو الشمال ليتفق كل منهما على حكم واحد هو .. مجنون ، ومائة مرة مجنون » . وبهذه العبارة يصفع الورداني حتى رجال المحكمة، ويصبغ قصته بصبغة سوداء توحي بالقنوط والتشاؤم .

والثانية « شبابي الرخيص » هي ايضاً عن لسان شاب بجيا حياة محرومة ، براتب تافه لا يكاد يكفيه فيرى النجاة في ان يتزوج « مكرمية » الأرملة البدينة التي تكبره كثيراً ، والتي لا يعوزها المال، وعندما يأخذان في الاستعداد للزواج يكتشف صاحبنا ان تلك الارملة دونه منزلة ودونه شباباً ، وفي اللحظة الاخيرة يهرب مع ابنتها الشابة الحسناء ويتزوجها لأنه كما يعبر في النهاية « ابداً .. ابداً لن ابيع شبابي رخيصاً » .

أما الثالثة « الوارث » فهي ايضاً عن لسان الفتى المحروم.. لكن الحركة المصرية الاخيرة جعلته يتنفس الصعداء ، فيأخذ القطار العائد الى القاهرة ، وفي القطار يصادف فتاة كان يعرفها منذ الصغر ، فهي ابنة صاحب الارض التي كان يعمل فيها ابوه فيجلس اليها وأمامه والدها المريض النائم الذي لا يحس به ، فيعلم الفتى ان هذا الثري لم يعلم بعدُ بحركة الانقلاب، لان ابنته ابعدته عن الصحف والاذاعة خوفاً من ان يقضي ذلك الخبر عليه لا سيما وهو ضعيف مريض ، ثم تستأذنه وتخرج لشأن هام ، فيختلي هو بالمريض . وعندئذ يتذكر كيف ان هذا الرجل جلد اباه ذات يوم ، فيصمم على الانتقام لابيه ، فيقف وينبه المريض ويضع امامه احدى الصحف التي تشير الى توزيع الملكيات ، مع العلم انه يعلم ان ذلك العمل يكفي للقضاء عليه.

انه يقدم على قتل المريض لانه قد جلد اباه ذات يوم .. ترى الى اي حد تتحكم عواطف المؤلف في نتاجه ؟ بحيث يرى ان الجزاء العادل للرجل هو القتل..

هذه هي النماذج التي اخترتها .

ان نظرة واحدة نلقيها عليها ترينا ان الكاتب لا يصور الحياة العامة ، بل يحاول ان يتحكم فيها ويسخرها لمصلحة قلمه ، الذي يريد ان يكتب نقداً قبل ان يبدي رأياً ويعلن فكرة ، ومع هذا نجد نقده ينحصر في دائرة محدودة لا يتعداها .فقصته مبني على النقد الموجه الى الثراء المادي ، والمجتمع اللاهي ، والارستقراطية العابثة ، ولسنا نلوم الكاتب اذا جرد قلمه لمحاربة هذه النواحي ، ولكننا نلومه لانه اقتصر في كافه قصصه على هذه النواحي. نلومه لاننا لا نريد ان يبدو الورداني صورة مكررة في كل ما يكتب . انه بارع في وصف الشريد المعدم، ولكن ليس معنى هذا ان يظل ابداً يصف لنا الشريد المعدم بحجة انه ينوي الاصلاح . فالتكرار يمل ، ومستهجن في المسائل الادبية والفنية ، اذ يدل على ان الكاتب قد نفدت ذخيرته وجفت قريحته .

ثم ان سرد الورداني ، ذلك السرد الذي اعتبروه تجديداً في القصة القصيرة ، لم يعد الآن من الجدة في شيء . بل انه ليس من السرد في شيء . فهناك كلمات لا بد من استعمالها في كل قصة .

الشاب القاهري ، عشرون مليوناً ، المجتمع الممتاز ، انه قرر الانتحار — هذه هي العبارات التي لا تخلو منها قصه للورداني ، ثم انه يستعمل بعض الصيغ والعبارات التي تفصح عن حقد دفين في صدر الكاتب ، وفي كثير من الاحيان يجعله الحقد يخلع على بعض الابطال اشنع واردأ النعوت، ثم يعود ليوجه نحو بطل آخر المع واسطع الاضواء .

ان على الفنان الحق ان يتسامى ويتعالى ، وينظر الى النماذج البشرية كما ينظر اله من الآلهة ، بحب واشفاق ، فيحاول اصلاح الفاسد منها شفقة عليه وحباً له ، لا غضباً عليه وكرها له .. على الفنان الحق ان ينظر حتى الى اولئك الظالمين والمجرمين والقتلة بنظرة عميقة غايتها الدرس ، فتصل النظرة الى مواطن الداء فتحاول ان تزيله .

اننا نرجو ان يترك الورداني هذا التكرار وان يتعمق في النظر الى نماذجه البشرية ، وان يحاول ان يضع يده على موطن الداء فيجاهد لازالته ، لا ان يقف فيلعن القاهرة ويسب المجتمع لان فيه فقراء الى جانب اثرياء .

البحرين

كارنيك جورج

صاحب جريدة «الخميلة»